Journal Of the Iraqia University (74-1) August (13-8-2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الالبسة الصليبية في بلاد الشام: بين الرموز والدلالات

(٤٩١هـ_٦٧٠هـ/١٠٩٦-١٢٧١م)

م.د حازم سامي ياسين

جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات

Crusader Clothing in the Levant: Between Symbols and Meanings (491 AH-670 AH/1096-1271 AD)

Dr. Hazem Sami Yassin
Tikrit University / College of Education for Girls
E-mail: hazim.same@tu.edu.iq

الملخص:

شهدت الأراضي الشرقية موجة من الحملات الصليبية في ازمان مختلفة ابتدأت في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وقد اثرت تلك الحملات بشكل كبير على سكان المناطق التي وقعت تحت الاحتلال الصليبي، واحدثت تفاعلاً حضارياً واسعاً الذي لم يقتصر على الجانب السياسي والعسكري وانما تعدى ذلك ليشمل مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والتي منها الألبسة التي ارتداها الصليبيين في بلاد الشام، وقد مثلت تلك الألبسة الفوارق الاجتماعية التي عكست هوية من ارتداها، مما اوجد نوعاً من الطراز الأوربي ممزوجاً باللمسات الشرقية التي لطالما اعجبت الاوربيين مما جعلهم يبحثون عما هو جديد ليتزينوا به. **الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية، الألبسة، الرموز والدلالات، الاسبتارية، بلاد الشام، الصليب.**

Abstract:

The Eastern lands witnessed a wave of Crusader campaigns at various times, beginning in the late fifth century AH/eleventh century AD. These campaigns had a significant impact on the inhabitants of the regions under Crusader occupation, creating a broad cultural interaction that was not limited to the political and military aspects, but rather extended to encompass various aspects of social and cultural life Among these are the clothes worn by the Crusaders in the Levant. These clothes represented the social differences that reflected the identity of those who wore them, creating a kind of European style mixed with Eastern touches that Europeans have always admired, which made them constantly search for what is new to adorn themselves with. Keywords: Crusades, clothing, symbols and meanings, Hospitallers, Levant, cross

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيد المرسلين, وخاتم النبيين, وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين, ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.تعد الالبسة من أهم المظاهر الحضارية عند جميع الأمم والأقوام السابقة والحالية, إذ انها تعكس مدى التقدم الحضاري التي وصلت له تلك الأمم أو الأقوام, وكان الصليبيين الذين دخلوا الأراضي الإسلامية في أوخر القرن الخامس الهجري كانت لهم اهتمامات واضحة في تلك الجانب, ونظراً لتقسيم المجتمع الصليبي إلى طبقات اجتماعية متكونة من الأمراء ورجال الدين والفرسان والطبقة العامة, وجميع هذه الطبقات تنقسم إلى رجال ونساء, وكان لكل فئة أو طبقة ملابس خاصة بهم وحسب احتياجاتهم في ممارساتهم سواء كانت دينية أو يومية أو في المعارك, وكان الصليبيين قد تأثروا بالمسلمين في العديد من الجوانب الحضارية وأهمها الملابس, فنظراً لأرتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف وانخفاضها في فصل الشتاء أضطرهم هذا التقلب المناخي على أن تكون هناك ألبسة صيفية وأخرى شتوية, وقد لبس الصليبيين الملابس الفضية أو الواسعة لأنها تسهل الحركة وتتلائهم مع ظروفهم المناخية, وقد اقتبسوا العديد من انواع الملابس وذهبوا بها إلى بلدانهم الاصلية في أوربا

العصور الوسطى.تكمن أهمية هذا البحث في أنه دراسة حديثة وقد يصلح لأن يكون دراسة أكاديمية لرسالة ماجستير, ولم أجد دراسة أكاديمية مستقلة تناولت هذا الموضوع, ولأجل ذلك تم اختيار هذا العنوان المتواضع.هذا وقد انتظم هذا البحث المتواضع من مقدمة وستة محاور رئيسة, وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع, جاء المحور الأول عن البنية الاجتماعية للصليبيين, وضمت المحور الثاني الملابس اليومية عند الصليبيين, واشتمل المحور الثالث على ملابس الفرسان الصليبيين, واحتوى المحور الرابع على الملابس الخاصة برجال الدين, واشتمل المحور الخامس على الرموز والاشارات في ملابس الصليبيين, ثم جاء المحور السادس والاخير عن الألبسة الصليبية كأداة دينية وسياسية, ثم جاءت بعد ذلك الخاتمة لتكون مسك ختام هذا البحث.

المحور الأول : البنية الاجتماعية للصليبيين

تكوّنت البنية الاجتماعية للصليبيين من مجموعة غير متجانسة كانت تؤلف المجتمع على نظام الطبقات، جمعتها الروح الدينية والنداء البابوي للتخلص من الواقع المزري التي كانت تعيشه أوروبا انذاك، لكنها اختلفت في الدوافع السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، فقد ضمت الحملات الصليبية نبلاء وفرسان محترفين، فضلاً عن رجال دين، وتجار، وفلاحين، بل حتى متسولين، انخرطوا في الحملات بدوافع دينية وأخرى اقتصادية طمعًا في الثروة والأرض أو اجتماعية تمثلت بالخلاص من ضيق الحياة وقسوتها[١].ففي قمة الهرم الاجتماعي الصليبي كان يقف الفرسان والنبلاء، الذين امتلكوا موارد كافية لتجهيز أنفسهم بالدروع والخيول، وكانوا يشكلون العمود الفقري العسكري للحملات، يليهم رجال الدين، من كهنة ورهبان، الذين لعبوا دورًا محوريًا في التوجيه الروحي وشرعنة الحرب، أما الجنود العاديون والفلاحون فمثّلوا الثقل العددي الاكبر، وكانوا غالبًا عديمي التدريب والانضباط، امتازوا بالهمجية لا يملكون سوى ملابس بسيطة وسلاح خفيف[٢].وقد أدت هذه التركيبة المتفاوتة إلى ظهور هرم اقطاعي سياسي في الإمارات الصليبية، اذ تمتع النبلاء بسلطات سياسية وإدارية، بينما ظلّ العامة في حالة تبعية اقتصادية واجتماعية مما يشبه إلى حدّ كبير النظام الإقطاعي الأوروبي الذي انتقل إلى المشرق بصيغته العسكرية والدينية[٣].

المحور الثاني : الملابس اليومية عند الصليبيين: دراسة في الشكل والدلالة الاجتماعية

تعدّ الملابس اليومية أحد العناصر الأساسية لفهم طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمع الصليبي خلال فترة الحروب الصليبية، وقد عكست هذه الملابس ليس فقط واقع الحياة الأوروبية في العصور الوسطى، بل تأثّرت أيضًا بالبيئة الجديدة التي وجد الصليبيون أنفسهم فيها بعد استقرارهم في المشرق الإسلامي.تميزت الألبسة الصليبية بتنوعها وتأثرها بالبيئة الشرقية بشكل كبير، في الوقت نفسه كانت تعكس الطبقة الاجتماعية فالامير ليس كالتاجر او صاحب المهنة ، وهكذا، فبعدما كان الاوربيون قد امتازوا بالفقر والتقشف في بعض الأحيان واعتادوا الملابس الصوفية والتي نادراً ماتغسل كانوا قد صدموا بالحياة الشرقية والرفاهية في الملبس والمأكل والمسكن التي وجدوها في الشرق[٤]، لذلك شكل ذلك نقطة تحول كبيرة في نمط الحياة.ففي بداية احتلالهم لبلاد الشام واستقرارهم في الشرق كانوا متمسكين بألبستهم الغربية والتي هي عبارة عن جوارب طويلة وقميص اكمامه طويلة وضيقة ايضاً وفوق ذلك القميص سترة ذات اكمام قصيرة، وغالبا ماتكون مصنوعة من الصوف وفي افضل الأحوال كانت مصنوعة من الكتان وبألوان مختلفة[٥] .ومما تجدر الإشارة اليه انه كان لتوفر الاقمشة اثرها الكبير نتيجة النشاط التجاري والزراعي فضلاً عن ازدهار صناعة المنسوجات في المناطق التي سيطر عليها الصليبيين لاسيما بلاد الشام[٦]، وكانت هذه الاقمشة سبباً رئيساً في إمكانية حصول الصليبيين على الملابس التي ارتدوها ابان سيطرتهم على العديد من المدن الشرقية الإسلامية انذاك، بعدما كان الحصول عليها (لاسيما الاقمشة الجيدة) بصعوبة بالغة كون انها كانت متاحة لطبقات الامراء والملوك فقط، اما في الشرق فقد أصبحت تلك الاقمشة متاحة للجميع، لكن طريقة صناعتها كانت تختلف نوعاً ما بين الطبقات لكنها كانت غالباً توافق النمط الصليبي [٧].تميّزت الملابس اليومية للصليبيين بالبساطة والعملية وعبرت عن الطبقة الاجتماعية والانتماء الديني، لاسيما في صفوف العامة من الجنود والفلاحين والعمال، بينما كانت أكثر ترفًا وتنظيمًا لدى الطبقات العليا، فقد ارتدى الرجال في الحياة اليومية تيونيك (Tunic)، وهو قميص طويل يصل حتى الركبتين، مصنوع غالبًا من الكتان أو الصوف، ويُربط عند الخصر بحزام جلدي، مع سروال داخلي (breeches) وحذاء جلدي خفيف[٨]. أما النساء فارتدين فساتين طويلة ذات أكمام واسعة، تغطيها طبقة خارجية أو عباءة بسيطة تكون مطرزة، فضلا عن وشاح للرأس يُستخدم لأغراض دينية واجتماعية وكانت له ألوان مختلفة وتارة تكون الملابس عبارة عن قطعة من النسيج مربعة او بشكل مستطيل واحيانا تكون بشكل مستدير يرفع طرفها الاعلى على الكتف لينسدل إلى الأمام[٩]، وغالباً ماتكون فضفاضة اكمامها واسعة ذات الوان زاهية تملؤها التطاريز، فضلاً عن المجوهرات الثمينة التي كانت تعد أساسية لإستكمال جمال المرأة الصليبية[١٠] ، كما ارتدى بعضهن الخمار كالنساء المسلمات لكن ليس للعفة وانما لحماية بشرتهن المطلية من اشعة الشمس[١١].ويبدو ان بعض النساء قد استأثرن حياة الترف والبذخ على حياة التقشف والحرمان، وظهر ذلك من خلال

البستهن المطرزة بخيوط من ذهب او بالمجوهرات، فضلاً عن ارتداء الفراء في الشتاء كما فعل ازواجهن[١٢] ، كما ان النساء بدأن يفعلن بشعرهن الجدائل، فكانت المرأة الصليبية تعمل جديلتين وتسدلهما على جسدها على غرار المرأة الشرقية(النصرانية تحديداً)[١٣] .اما في المناسبات لاسيما الاعراس فقد ارتدت المرأة الصليبية افخر ماموجود لتخرج بأبهى صورة، فوضعت على رأسها العصبة المذهبة المحفوفة بشبكة من ذهب مع الفستان الطويل الذي يسحب اذيال من الحرير المذهب[١٤]، وقد وصف لنا الرحالة العربي ابن جبير عرساً صليبياً كان قد شاهده بأم عينه اذ قال:" **ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدث بها زفاف عروس شاهدناها بصور في احد الأيام...وهي في ابهى زي، وافخر لباس، تسحب اذيال الحرير المذهب سحباً على الهيئة المعهودة من لباسهم، وعلى رأسها عصابة ذهب قد حفت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لبتها مثل ذلك منتظم،...**"[١٥] . ومما لاشك فيه ان وصف ابن جبير كان واضحاً جداً اعطانا تصور عن مدى الترف والبذخ الذي كان يعيشه الصليبيين في الشرق وتحديداً بلاد الشام نتيجة وفرة الأموال وانتعاش الحالة الاقتصادية واستقرارها رغم ماكانت من حروب متذبذبة مع المسلمين، فضلا عن التغير الواضح في الألبسة الصليبية خلال المناسبات ومنها الاعراس ، اذ لم تكن هذه الألبسة والاطلالة البهية المذهبة معروفة في أوروبا العصور الوسطى.تشير الدراسات إلى أن الصليبيين تأثروا باللباس الشرقي (تحديداً الملابس الاسلامية) لاسيما في مناطق بلاد الشام[١٦]، فاستعاض بعضهم عن الصوف بالكتان، وتبنّوا التصاميم الفضفاضة التي تتناسب مع مناخ المشرق، كما تبنّت بعض النساء الصليبيات أغطية الرأس الشرقية المطرزة، وهو ما يعكس نوعًا من التفاعل الثقافي والتكيف البيئي وقد لعب اللباس دورًا في التعبير عن الهوية والانتماء، حيث ميّز بين الفارس والعامي، وبين رجل الدين والجندي، وبين الطبقات المختلفة داخل المجتمع الصليبي، وظلّ محافظًا على الصبغة الأوروبية رغم ما أصابه تأثرات وتحولات [١٧].ويبدو ان هذه التحولات والتغيرات كانت قد اعتاد عليها الصليبيون نتيجة تواجدهم في مناطق امتازت بعادات وتقاليد جديدة عليهم، فكان انصهار الصليبيين في هكذا بيئة متحضرة امراً حتمياً كون ان تأثيرها اقوى بسبب العقيدة الاجتماعية سواء أكانت عند المسلمين او النصارى او اليهود.

المحور الثالث: ملابس الفرسان الصليبيين: بين الوظيفة الحربية والدلالة الرمزية

شكّلت ملابس الفرسان الصليبيين عنصرًا أساسيًا في البنية العسكرية والاجتماعية للحملات الصليبية، إذ لم تقتصر وظيفتها على الحماية في ساحة المعركة، بل امتدت إلى التعبير عن الهوية الطبقية والدينية، وتعزيز هيبة الفارس ضمن السياق الإقطاعي الذي حكم تركيبة الجيوش الصليبية، فقد كانت الملابس الحربية للفرسان تتركب من طبقات متعددة تهدف إلى حماية الجسد من الأسلحة الحادة والثقيلة في الأساس، فكان الفارس يرتدي ثوبًا مصنوعًا من طبقات سميكة من القماش والقطن، يمتص الصدمات ويمنع احتكاك الجلد بالمعدن الذي فوقه، فأرتدى المقاتل درع معدني تكون من الحلقات المعدنية المتشابكة غطت الجذع والأطراف أحيانًا، ويُضاف إليه غطاء رأس معدني متصل لحماية الرقبة، وكان يُلبس فوق الدرع ما يُعرف بـ"السوركوت" (Surcoat)، وهو ثوب طويل من القماش غالبًا ما يكون ملونًا أو مزخرفًا بشعار النبالة الخاص بالفارس أو بالصليب، كرمز لانتمائه الديني، وقد أدى هذا الرداء الخارجي دورًا رمزيًا يربط بين الفروسية والمهمة الدينية، لاسيما أن الحملات الصليبية اتخذت طابعًا "مقدسًا" في الوعي الأوروبي، أما الخوذة فتنوّعت بين الخوذة المخروطية في الحروب المبكرة والخوذة المغلقة بالكامل في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كذلك استُخدمت الدروع اليدوية المصنوعة من الخشب المغطى بالجلد أو المعدن والتي غالبًا ما زُيّنت بشعارات فردية أو جماعية[١٨]، هذا بالنسبة للباس الحرب، اما ملبسه عند خلعه لباس الحرب فكان ثوب من الحرير يغطي جسده بالكامل ويطل رأسه منه الذي يغطى بعمامة ضيقة[١٩] ، وهذا مما لاشك فيه تأثراً واضحاً بالشرقيين وملابسهم.وقد تميز فرسان الهيئات العسكرية الدينية مثل الداوودية "فرسان المعبد" و"فرسان الإسبتارية" بأزياء مميزة تعكس التزامهم الرهباني[٢٠]، فكانوا يرتدون ثوبًا أبيض عليه صليب أحمر (للمعبد) أو أسود عليه صليب أبيض (للإسبتارية)[٢١]، ما يعكس ازدواجية دورهم كجنود ورهبان[٢٢]، وامتاز اللباس عند الاسبتارية بتوجيه من البابا انوسنت الرابع سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م بالرداء الرهباني الأسود الذي يحمل طرز الصليب على الصدر باللون الأبيض لكن ذلك لقى معارضة من بعض الفرسان بسبب انهم مشتركين بلباسهم مع أعضاء المنظمة كالرهبان وغيرهم، وهذا مادعى خلفه البابا السكندر الرابع الى اصدار قرار تغييره بوثيقة سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م فأقر لهم رداءاً خاصاً لا يرتديه سواهم وهو عبارة عن عباءة سوداء اللون يرتدونها في الدير ومعطف يكون مثمن الأطراف يرتدونه عند الحرب، وبعد وقت ليس بالطويل استبدل الصليب الأبيض بالصليب الأحمر نظرا لاعتراض البعض على اللون الأبيض[٢٣]، اما فرسان المعبد الذين اصطبغت هيئتهم بالطابع الديني الحربي منذ نشأتها فأصدر لهم البابا ايوجين الثالث سنة ١١٤٦م مرسوما يسمح لهم بأرتداء الرداء الأبيض مطرزاً عليه الصليب الأحمر[٢٤]، فالابيض يرمز للعفة والطهارة ، واما الأحمر فيرمز للتضحية والدفاع عن الصليب المقدس، اما رايتهم فأختاروا اللونين الأبيض والأسود، فالابيض يرمز لإخلاصهم للسيد المسيح ومراعاة خدامه والاهتمام

بهم، اما السواد فهو رمز الشدة والقسوة ضد اعدائهم [٢٥].وهذا يعكس لنا قوة فرسان هاتين المنظمتين في السيطرة على انفاذ القرارات والاعتراض عليها والضغط من اجل تغييرها بما يتناسب مع رغبات أعضائها حتى ان كانت صادرة عن البابا نفسه.في الحقيقة يمكن القول ان الصليبيين كانوا قد اقتبسوا من الشرقيين الكثير من أنماط الملبس، فنجد ذلك واضحاً في طريقة لباسهم عندما كانوا يضعون شالاً صغيراً على خوذة المقاتل او انها كانت تبطن من الداخل بقماش للوقاية من اشعة الشمس الحارة، وهذا امر كان يستحدمه المسلمين والذميين في المناطق الحارة[٢٦]

المحور الرابع : ملابس رجال الدين الصليبيين: مظهر التقوى ورمز السلطة

شكّلت ملابس رجال الدين الصليبيين عنصرًا أساسيًا في ترسيخ الهيبة الكنسية وتأكيد حضور الكنيسة في قلب المشروع الصليبي، فقد كان رجال الدين سواء أكانوا من الرهبان أو الكهنة أو الأساقفة جزءًا لا يتجزأ من الحملات الصليبية، ورافقوا الجيوش لدعمها دينيًا ومعنوياً في آن واحد وكان لباسهم مميزاً عن بقية الصليبيين اذ ارتدى الكهنة والأساقفة خلال الحملات الصليبية أثوابًا طويلة فضفاضة غالبًا كانت باللون الأسود أو البني للرهبان، والأبيض أو البنفسجي لرجال الدين الأعلى مرتبة، وكانت الأقمشة المستخدمة من الصوف أو الكتان الثقيل تماشيًا مع مبادئ التقشف المسيحي!!!، أما الرهبان المحاربون مثل فرسان "الإسبتارية" و"فرسان المعبد"، فقد ارتدوا عباءات دينية تحمل رموزًا مميزة مثل العباءة البيضاء عليها صليب أحمر لفرسان المعبد، وعباءة سوداء عليها صليب أبيض للإسبتارية[٢٧].وقد مثّل هذا اللباس مزيجًا بين الزهد والرهبنة من جهة، والسلطة الرمزية من جهة أخرى، إذ كان لرجال الدين دور في الإشراف على الشعائر وتبرير الحرب دينيًا، وكان لباسهم يحمل دلالات الطهارة والشرعية، ويمنحهم مكانة عليا بين الجند والعامة, كذلك كانت بعض الملابس الكنسية الخاصة تُستخدم في المناسبات الكبرى، مثل القداديس والانتصارات العسكرية، حيث يُلبَس "الرداء الليتورجي" المطرّز بالصليب والرموز المسيحية، ما يكرّس البُعد المقدّس للحرب[٢٨].يبدو ان مظاهر الملبس عند رجال الدين التي قام بإرتدائها رجالات الكنيسة لم تكن من باب التقشف والزهد كما ادعوا وانما كانت لكسب ود واستعطاف الصليبيين على اعتبار انهم لم يأتوا الا بواجب ديني لخدمة الصليب وليس لأغراض دنيوية، كما انهم كانوا بحاجة لتعبئة الناس وان هذه الملابس كانت وسيلة لإظهار الوحدة والمساواة بين كل الصليبيين على اختلاف طبقاتهم ليسهل اقناعهم.خلاصة القول ان تلك المظاهر التي اظهرها رجال الدين لم تكن الا لأغراض دعائية واقناعية لطبقة العامة والفلاحين لإظهار القداسة من جهة، وتبرير التضحيات من جهة أخرى.

المحور الخامس: الرموز والشعارات في ملابس الصليبيين: دلالات دينية وهوية تنظيمية

أدت الرموز والشعارات دورًا جوهريًا في تحديد الهوية الفردية والجماعية للصليبيين، لاسيما في ملابسهم العسكرية والدينية، حيث لم تكن الملابس مجرد أدوات وظيفية، بل وسائط بصرية تعكس الانتماء العقائدي والتنظيمي والاجتماعي.أبرز هذه الرموز كان الصليب، الذي وُضع بشكل واضح على الثياب، سواء على السوركوت (الرداء الخارجي للفرسان) أو على عباءات رجال الدين وقد اختلف شكل الصليب ولونه باختلاف التنظيم العسكري والديني ، وكان يُطلب منهم وضع صليب من القماش الأحمر على الصدر أو الكتف رمزًا لانخراطهم في "الحرب المقدسة" ونظراً لأتخاذ الصليب شعارا على ملابسهم واعلامهم دعيت هذه بالحروب الصليبية، أما شعارات النبالة فكانت تستخدمها العائلات الإقطاعية والفرسان الكبار، حيث تُطرز أو تُطلى على الدروع والثياب، وتُظهر رموزًا حيوانية (كالأسد والنسر) أو هندسية كشكل المعين، وتدل على الانتماء العائلي والمكانة الطبقية، وكانت هذه الرموز تساهم في التعرف على الهوية في ساحة المعركة، كما كانت تُستخدم في المواكب والاحتفالات الدينية[٢٩].ويبدو ان تلك الرموز حملت دلالات متعددة: دينية (تأكيد الطابع المسيحي للحرب)، تنظيمية (تمييز الفرق والفرسان)، وسياسية (إظهار سلطة النبلاء والملوك).

المحور السادس: الألبسة الصليبية كأداة دينية وسياسية: بين القداسة والسلطة

لم تكن الألبسة في الحروب الصليبية مجرد أدوات وظيفية لحماية الجسد أو التمايز الطبقي، بل شكّلت أداة رمزية قوية استخدمها الصليبيون لترسيخ السلطة الدينية والهيمنة السياسية، فقد ارتبط اللباس، لا سيما الموشّى بالصليب أو الشعارات الدينية ارتباطًا مباشرًا بفكرة الحرب المقدسة مما منح مرتديه شرعية دينية ومكانة اجتماعية تفوق غيره.فمن الناحية الدينية، مثّلاً ارتداء الصليب على الثياب إعلانًا صريحًا بالانخراط في المشروع الإلهي المتمثل في تحرير الأراضي المقدسة، فقد أُلزم كل من شارك في الحملة الصليبية بوضع صليب من قماش أحمر على كتفه أو صدره، في ممارسة تُعرف بـ"أخذ الصليب" وهي طقس ديني يربط الفعل العسكري بمباركة الكنيسة، كما تميزت ملابس رجال الدين الصليبيين بعباءات تحمل رموزًا واضحة للصليب، تعزز دورهم كمرشدين روحيين في قلب الجيوش وقد اعلن البابا اوربان اعفاء من يحملون الصليب من التكاليف المالية ولأضافة قدسية اكبر لهذه الحروب اراد ان يشارك بنفسه لكن الظروف لم تساعده وبذلك سلم "صليب الخلاص"

إلى اسقف مدينة بوي الفرنسية وجعله نائباً عنه في الزعامة الروحية للحروب الصليبية[٣٠].أما من الناحية السياسية، فقد أصبحت الألبسة وسيلة لإبراز السلطة والنسب، لاسيما من خلال شعارات النبالة المطرزة على الدروع والرداءات فقد كان النبلاء والقادة العسكريون يستخدمون هذه الرموز في ملابسهم لتمييز رتبهم وتعزيز مكانتهم أمام الجند والعامة، كذلك فإن اللباس الموحد لأعضاء الفرق الدينية العسكرية (كفرسان المعبد والإسبتارية) ساهم في توحيد الصف وتأكيد الطاعة والهيبة المؤسسية[٣١].وقد ساعدت هذه الألبسة في خلق هوية جماعية صليبية، تتجاوز الفروق القومية أو الإقليمية، وتجمع الأفراد تحت شعار "الصليب"، بما يعزز من وحدة الصف العسكري والديني، ويمنح المشروع الصليبي بُعدًا رسوليًا وإيديولوجيًا قويًا[٣٢].ومن الجدير بالذكر ان بعض النصارى الشرقيين الذين اعتادوا ملبسهم الشرقي قد تعرضوا للقتل بحجة ان الصليبيين ظنوا انهم مسلمين فمنعوا بعد ذلك من لباسهم الشرقي المعروف بهيئته القريبة من لباس المسلمين[٣٣]، وهذا بحد ذاته انتهاك للحريات واضطهاد اجتماعي تعرض له سكان هذه المناطق الأصليين من الديانة النصرانية على الرغم من انهم يدينون بنفس الديانة مع الصليبيين.وفي وقت لاحق وبعد ان تقادم الزمان نجد ان الصليبيين انفسهم تشبهوا بالشرقيين سواء أكان بطريقة الملبس او بأطلاق الذقون(اللحى)[٣٤]، ولم يقتصر هذا الامر على الجنود والعامة بل تعدى الامر حتى وصل الى الامراء والملوك مثلما فعل بلدوين عندما استبدل ثيابه الاوربية بأخرى شرقية، بل ان تنكرد قام بسك النقود وعليها صورته بالزي العربي[٣٥]. كل ذلك يعطينا انطباع عن مدى تأثر الصليبيين بأصحاب الأرض سواء مسلمين او نصارى وتغير الكثير من العادات الاجتماعية عندهم وابدالها بأخرى شرقية، وقد يكون ذلك محاولة منهم للتقرب من الشرقيين واستيعاب تلك العادات والتقاليد التي كانت تعد غريبة بالنسبة لهم.ومما تجدر الإشارة اليه ان ماجرى من اتصال وتأثر الغرب بالحضارة الشرقية لم يكن بالقدر الكافي كون ان الغرب قد اتصل بما يغايره ويخالفه بأبسط التفاصيل، وفي أحوال كثيرة كان اسمى واعلى منه[٣٦] ، لكن رغم ذلك كله قد حدث تأثير كبير في الحياة الاجتماعية لاسيما في المأكل والملبس بل وحتى في تعامل المجتمع الصليبي مع المرأة ونظرته اليها حتى اصبح للمرأة دور فعال في العديد من نواحي الحياة، كل ذلك جعلها محط انظار وانتقاد المتشددين من الصليبيين فهاجموها ونعتوها بأبشع الالفاظ[٣٧].ويبدو ان ذلك لم يؤثر على الصليبيين في عملية التأثر من المجتمع الشرقي والاقتباس منه وظل ذلك مستمراً طيلة تواجدهم في بلاد الشام ونقلوا ماتعلموه الى بلدانهم بعد رحيلهم وتحرير المدن التي كانت تحت سيطرتهم.

الخاتمة:

١-عبرت الالبسة الصليبية على هوية الانتماء الديني والاجتماعي والسياسي لدى الصليبيين.

٢-كان الصليب ابرز الادلة والرموز التي استخدمها الصليبيون طوال فترة الحروب الصليبية.

٣-رغم تواجد الصليبيين في بلاد الشام وتأثرهم بالمجتمع الشرقي الا انهم بقوا متمسكين بنظام الطبقات الاوربي .

٤-كل الرموز والدلالات كانت تؤخذ من الكنيسة بأعتبارها الراعي الرسمي والشرعي للحروب الصليبية.

٥-ان الاندماج في الالبسة والازياء بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب لم تكن نتيجة حروب عسكرية وانما كانت نتيجة لثقافات متبادلة.

٦-ان الالبسة سوى كانت مدنية او عسكرية فقد حملت في طياتها لمسة اوربية صليبية في محاولة للحفاظ على الهوية الاوربية

الهوامش:

(١) طقوش, محمد سهيل, تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق), دار النفائس, بيروت, ٢٠١١م, ص٣١-٣٢.

(٢) الجنابي, طلب صبار, إمارة انطاكية دراسة في علاقتها السياسية بالقوى الإسلامية, دار نينوى: الموصل,٢٠١٣م, ٨٧-٨٨.

(٣) طقوش, تاريخ الحروب الصليبية, ص٣٤.

(٤) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، (د.م-د.ت)، ٣٦٤/٢.

(٥) بردج، انتوني، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: احمد غسان سبانو ونبيل الجرودي، (د.ت-د.م)، ص١٣٦

(٦) قاسم، عبده قاسم، بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عضر الحروب الصليبية، عالم الفكر، (د.م-١٩٩٤م)، ص٣٩٣.

(٧) قاسم، عبده قاسم، اهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، دار المعارف،(القاهرة-١٩٧٧م)، ص٣٩٣.

(٨) حمزة, شعبان، الملابس والزينة في المجتمع البيزنطي في العصور الوسطى دراسة تاريخية حضارية, دار الثقافة للنشر, القاهرة, ٢٠١٥م, ص٨.

(٩) حمزة، الملابس والزينة, ص١١-١٢؛ صبره، عفاف السيد, الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان, دار النهضة العربية , القاهرة, ١٩٨٢م,٢٣٥.

[١٠] النقاش، زكي، الحروب الصليبية ومانتج عنها من علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية بين العرب والافرنج، (د.م-١٩٤٦م)،ص٩٣.

[١١] رنسيمان، تاريخ الحملات الصليبية ، ٣٦٦/٢.

[١٢] رنسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ٣٦٦/٢.

[١٣] بردج، تاريخ الحروب الصليبية، ص١٣٥.

[١٤] النقاش، الحروب الصليبية ، ص٩٣.

[١٥] محمد ابو الحسين بن احمد الكناني الاندلسي(ت٦١٤هـ)، الرحلة، دار صادر، (بيروت-د.ت)، ص٢٧٨.

[١٦] عوض، محمد مؤنس، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ال١٢-١٣م/٦-٧هـ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث، (القاهرة-٢٠٠٠م)، ص١٣٢.

[١٧] حسين، ممدوح وآخرون, الحروب الصليبية في شمال افريقيا واثراها الحضاري, دار عمار, عمان, ١٩٩٨م, ص٦٩٦؛ الجنابي, امارة انطاكية, ص٢٥٨-٢٥٩.

[١٨] ديورَانت, ويل، قصة الحضارة, تقديم: محيي الدّين صَابر , ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين, دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس, ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م, ٤٤١/١٤-٤٤٣.

[١٩] رنسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ٣٦٥/٢.

[٢٠] كاهن، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: احمد الشيخ، سينا للنشر، (القاهرة-١٩٩٥م)، ص٢٠٦.

[٢١] عمران، محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م ، دار المعرفة الجامعية، (مصر، ٢٠٠٠م)، ص٣٤٤.

[٢٢] ديورانت , قصة حضارة, ج١٥,ص٢٨؛ سميث ، جوناثاني رايلي , الأسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص, ترجمة: صبحي الجابي,د.م, ١٩٨٩م, ص٥٦-٥٧.

[٢٣] الحويري، محمود محمد، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحروب الصليبية، دار المعارف،(القاهرة-١٩٧٩م)، ص٦٢-٦٣.

[٢٤] عطية، عزيز سوريال، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر سيف، دار الثقافة، ط٢، (القاهرة-د.ت)، ص٥٥.

[٢٥] حبشي، حسن، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، (مصر-د.ت)، ص٩٩.

[٢٦] براور، يوشع، الاستيطان الصليبي، ترجمة: عبد الحافظ البنا، (القاهرة-٢٠٠١م)، ص٦١٩-٦٢٠.

[٢٧] الحناوي, مصطفى محمد, عصر الحروب الصليبية (الفرسان الاسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي), مكتبة الرشد, الرياض, ٢٠٠٤م, ص١١٨-١١٩.

[٢٨] الحناوي, عصر الحروب الصليبية, ص١١٨.

[٢٩] المطوي، محمد العروسي, الحروب الصليبية في المشرق والمغرب, دار الغرب الاسلامي, د.م, ١٩٨٢م, ص٤٧.

[٣٠] المطوي, الحروب الصليبية, ص٤٦-٤٧.

[٣١] الحناوي, عصر الحروب الصليبية, ص١١٩-١٢١.

[٣٢] طقوش, تاريخ الحروب الصليبية, ص٧١٧.

[٣٣] براور، الاستيطان الصليبي، ص٦٤٠.

[٣٤] الحويري، الاوضاع، ص٢٤٤.

[٣٥] فيتري، يعقوب، تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد عبدالله البيشاوي، دار الشروق، (عمان-١٩٩٨م)، ص١٠٩؛ الحويري، الأوضاع، ص٢٤٤.

[٣٦] باركر، ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط٢،(بيروت-د.ت)، ص١٥٠.

[٣٧] فيتري، تاريخ بيت المقدس، ص١٠٦.

ثبت المصادر والمراجع

١. باركر،ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط٢،(بيروت-د.ت).

٢. براور، يوشع، الاستيطان الصليبي، ترجمة: عبد الحافظ البنا، (القاهرة-٢٠٠١م).
٣. بردج، انتوني، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: احمد غسان سبانو ونبيل الجرودي، (د.ت-د.م).
٤. ابن جبير ،محمد ابو الحسين بن احمد الكناني الاندلسي(ت٦١٤هـ)، الرحلة، دار صادر، (بيروت-د.ت).
٥. الجنابي, طلب صبار, إمارة انطاكية دراسة في علاقتها السياسية بالقوى الإسلامية, دار نينوى (الموصل-٢٠١٣م).
٦. حبشي، حسن، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، (مصر-د.ت).
٧. حسين ،ممدوح وآخرون, الحروب الصليبية في شمال افريقيا واثراها الحضاري, دار عمار, (عمان- ١٩٩٨م).
٨. حمزة, شعبان، الملابس والزينة في المجتمع البيزنطي في العصور الوسطى دراسة تاريخية حضارية, دار الثقافة للنشر, (القاهرة- ٢٠١٥م).
٩. الحناوي, مصطفى محمد, عصر الحروب الصليبية (الفرسان الاسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي), مكتبة الرشد, (الرياض-٢٠٠٤م).
١٠. الحويري، محمود محمد، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحروب الصليبية، دار المعارف،(القاهرة-١٩٧٩م).
١١. ديورَانت, ويل، قصة الحضارة, تقديم: محيي الدّين صَابر , ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين, دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (تونس- ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م).
١٢. رنسيمان، ستيفن، الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، (د.م-د.ت).
١٣. سميث ،جوناثاني رايلي , الأسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص, ترجمة: صبحي الجابي,(د.م- ١٩٨٩م).
١٤. صبره، عفاف السيد, الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان, دار النهضة العربية , (القاهرة- ١٩٨٢م).
١٥. طقوش, محمد سهيل, تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق), دار النفائس, (بيروت- ٢٠١١م).
١٦. عطية، عزيز سوريال، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر سيف، دار الثقافة، ط٢، (القاهرة-
١٧. عمران، محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م ، دار المعرفة الجامعية، (مصر، ٢٠٠٠م).
١٨. عوض، محمد مؤنس، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ال١٢-١٣م/٦-٧هـ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث، (القاهرة-٢٠٠٠م) .
١٩. فيتري، يعقوب، تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد عبدالله البيشاوي، دار الشروق، (عمان-١٩٩٨م).
٢٠. قاسم، عبده قاسم، بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عضر الحروب الصليبية، عالم الفكر، (د.م-١٩٩٤م).
٢١. قاسم، عبده قاسم، اهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، دار المعارف،(القاهرة-١٩٧٧م).
٢٢. كاهن، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: احمد الشيخ، سينا للنشر، (القاهرة-١٩٩٥م).
٢٣. المطوي، محمد العروسي, الحروب الصليبية في المشرق والمغرب, دار الغرب الاسلامي, (د.م, ١٩٨٢م).
٢٤. النقاش، زكي، الحروب الصليبية ومانتج عنها من علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية بين العرب والافرنج، (د.م-١٩٤٦م).

1-barkir,arnisti, alhurub alsalibiata, tarjamatu: alsayid albaz alearinii, dar alnahdat alearabiati, ta2,(birut-di.t).
2. brawr, yushae, aliastitan alsalibi, tarjamatu: eabd alhafiz albanaa, (alqahrat-2001mi).
3. bardaj, antuni, tarikh alhurub alsalibiati, tarjamatu: aihmad ghasaan sbanu wanabil aljurudii, (da.t-du.mi)
4. abin jabir,muhamad abu alhusayn bin ahmad alkunanii alandilsi(ti614hi), alrihlati, dar sadir, (birut-di.t).
5. aljanabi, talab sabar, 'iimaratan antakiatan dirasatan fi ealaqatiha alsiyasiat bialquaa al'iislamiati, dar ninawaa (almusl-2013ma).
6. hbishi, hasani, alharb alsalibiat al'uwlaa, dar alfikr alearabii, (masir-di.t).
7. husin ,mamduh wakhrun, alhurub alsalibiat fi shamal afriqia wathraha alhadari, dar eamar, (eaman-1998ma).

8. hamazat, shaeban, almalabis walziynat fi almujtamae albizantii fi aleusur alwustaa dirasat tarikhiat hadariatun, dar althaqafat lilnashri, (alqahirati- 2015mi).
9. alhanawi, mustafaa muhamadu, easr alhurub alsalibia (alfursan aliasbtariat wadawruhum fi alsirae alsalibii aliaslamii), maktabat alrushdi, (alriyad- 2004ma).
10. alhuiri, mahmud muhamad, al'awdae alhadariat fi bilad alshaam fi alqarnayn althaani eashar walthaalith eashar min almilad easr alhurub alsalibiati, dar almaearifi,(alqahrati-1979ma).
11. dywrant, wil, qisat alhadarati, taqdimu: muhyi alddyn sabr , tarjamatu: alduktur zaki najib mhmud wakhrin, dar aljili, bayrut - lubnan, almunazamat alearabiat liltarbiat walthaqafat waleulumu, (tunis- 1408 hi / 1988 mi)
12. rinisiman, stifin, alhamalat alsalibiati, tarjamatu: nur aldiyn khalil , alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, ta2, (da.m-di.t).
13. smith ,junathani rayli , al'asbtariat fursan alqidiys yuhanaa fi bayt almuqadas waqubrus, tarjamatu: subhi aljabi,(du.m- 1989ma).
14. sabruhi, eafaaf alsayidi, aliambiraturiatan albizantiat walruwmaniat algharbiat zaman sharlaman, dar alnahdat alearabiat , (alqahirati- 1982mi).
15. tqush, muhamad suhayl, tarikh alhurub alsalibia (hurub alfirinjat fi almashriqi), dar alnafayisi, (birut- 2011ma).
16. etiatu, eaziz suryal, alhurub alsalibiat watathiruha ealaa alealaqat bayn alsharq walgharba, tarjamatu: filib sabir sif, dar althaqafati, ta2, (alqahirati-di.t).
17. eamran, mahmud saeidi, tarikh alhurub alsalibiat 1095-1291m , dar almaerifat aljamieiati, (masir, 2000ma).
18. eawad, muhamad muanasu, alhurub alsalibiat alealaqat bayn alsharq walgharb fi alqarnayn al12-13ma/6-7ha, muasasat eayn lildirasat walbuhuthi, (alqahrati-2000m) .
19. fitri, yaequba, tarikh bayt almaqdasi, tarjamatu: saeid eabdallah albishawi, dar alsharuq, (eiman-1998mi).
20. qasima, eabduh qasami, baed mazahir alhayat aliajtimaeiat fi bilad alshaam fi eadr alhurub alsalibiati, ealim alfikri, (du.mi-1994ma).
21. qasima, eabdih qasima, ahl aldhimat fi misr fi aleusur alwustaa, dar almaearifi,(alqahrati-1977ma).
22. kahin, klud, alsharq walgharb zaman alhurub alsalibiati, tarjamatu: aahmad alshaykha, sina lilnushri, (alqahrati-1995ma).
23. almatwi, muhamad alearusii, alhurub alsalibiat fi almashriq walmaghribi, dar algharb alaslamii, (du.m, 1982mi).
24. alniqash, zaki, alhurub alsalibiat wamantij eanha min ealaqat ajtimaeiat waqtisadiat wathaqafiat bayn alearab walafranji, (du.mi-1946ma).

.